



جامعة تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية



السنة الجامعية: 2024 – 2025

قسم علم الآثار

التخصص: الآثار الإسلامية

المستوى : السنة الثالثة السداسي : الثالث

عنوان المقياس: حلقات البحث

أستاذ المادة: أ.د بلحاج معروف

Email: archeomarouf@gmail.com

عنوان الدرس قراءة في كتاب المغرب في أخبار إفريقية والمغرب
لأبي عبيد الله البكري

قراءة في كتاب المغرب في أخبار إفريقية والمغرب لأبي عبيد الله البكري

أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، مؤرخ جغرافي، ثقة علامة بالأدب، له معرفة بالنبات، وهو من مدينة مرسية من أعيان أهل الأندلس وأكابرهم. ولد البكري حوالي سنة 1021م، في قصر والده في مدينة ولبة في غرب الأندلس، وكان والده عبد العزيز يلقب بمعز الدولة، إذ كان من أمراء الطوائف.

وهو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري المشهور خاصة بكنيته أبو عبيد، ولد بلبلة من عائلة عربية، يرجع أصلها إلى قبيلة بكر وائل، تولى الكثير من أفرادها مناصب رسمية بالأندلس، ولكن لا نعرف شيئاً يذكر عن أوائل هذه العائلة، ولا عن الفترة التي استقرت فيها بالأندلس.

نشأ أبو عبيد الله البكري في بيت إمارة وسيادة، وتلمذ على يد أبي حيان وأبي العباس أحمد بن عمر العذري وأبي بكر المصحفي وأبي بن عبد البر الحافظ الذي تسلم منه إجازة رواية... ويبدو أنه انتقل مع أبيه إلى قرطبة في سنة 443 هـ، وبقي فيها بما فيه الكفاية كي يواصل ثقافته الأدبية والعلمية حتى لقب بالقرطبي إلا أن أكثر شهرته هي الأندلسي.

ولا نعلم كم بقي أبو عبيد الله بقرطبة، وهل تركها في حياة والده أم بعد وفاته، فابن بشكوال يعلمنا أنه تابع دروس أبي مروان ودروس المؤرخ الكبير أبي حيان والمؤكد أنه اتبع أيضاً بقرطبة دروس أبي بكر المشعفي وابن عبد البر، ولا يمكن أن نعرف أي تأليفه ألف إن كان قد ألف مدة هذا المقام الأول بقرطبة لأن تواريخ تأليفه غير معروفة، ولكن الكثير من القرائن تبين أنه لم يكن عديم الشغل، وأن الكثير من تأليفه قد تكون ظهرت في تلك الفترة، ويبدو حسب خبر لابن حيان نقله الفتح بن خاقان وحكاها أيضاً ابن الأبار في شيء من الاحتراز أن البكري قد انتقل من بعد إلى المرية بدعوة من أميرها محمد ابن معن، ولا شك أن سبب هذه الدعوة كانت شهرة الرجل بصفته أديباً، واستقبله حاكم المرية بترحاب وجعله من خلانه وانقسمت حياة أبي عبيد الله بين حياة البلاط، والدراسة وتابع في المرية دروسه.

وذهب البكري سنة 1085/478 - 1086 إلى اشبيلية موفدا من قبل محمد بن معن لدى المعتمد بن عباد عندما ذهب الى المغرب الأقصى يستجد بعون المرابطين ضدّ التهديد الصليبي. ثم نجده من جديد سنة 1090/483 - 1091 بقرطبة التي صارت عاصمة الأندلس بعد دخول المرابطين إليها، والراجح انه قضى بها بقية حياته بين الدراسة والحياة مع أصدقائه وبها توفي أيضا.

كتابه المسالك والممالك:

يعد كتاب المسالك والممالك من أهم مؤلفات المؤرخ والجغرافي أبي عبيد البكري، حيث تناول فيه سيرته وحياته وشيوخه وتلاميذته، وكذا منهجه، وهو كتاب جمع بين التاريخ والجغرافيا، كما ذكر فيه العديد من المؤلفات التاريخية والجغرافية وغيرها، وتحدث عن الممالك وعرض العديد من شعوب العالم، ووصف الإمبراطوريات والقصص التاريخية.

ويشتمل كتاب المسالك على قسمين متقاربي الحجم، والراجح أن القسم الأول كان يحتوي مقدمة عامة أو تمهيدا يعتبر اليوم ضائعا، ويستهل هذا القسم بمقدمة تاريخية طويلة تبدأ ببدأ الخلق، وتعرض لتاريخ الأنبياء من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم. وأما الفصل الموالي فيتعلق بالمعتقدات الدينية وأوهام قدماء العرب.

ويبدأ القسم الجغرافي الحقيقي بفصول عديدة في الجغرافية العامة: الأراضي - البحار - الأنهار - الأقاليم السبعة.

ويستعرض المؤلف بعد ذلك البحار السبعة وأهم الأنهار، وبعنوان: ابتداء الممالك نبداً في القسم الذي تسمى به كل الكتاب ويتمثل في وصف العالم بلدا بلدا وجهة وجهة ومدينة مدينة. ونجد دائما نفس التخطيط: مقدمة تاريخية - وصف عام للبلاد والسكان والمنتوجات وصف للممالك (وهذا القسم ضائع في الكثير من الأحيان مثلما هو الشأن بالنسبة إلى الأندلس) ووصف للبلدان مع قسم تاريخي في الغالب، ويتخلل كل ذلك بعض الحكايات الغريبة تتصل بأدب العجائب.

والتدرج العام ينطلق من المشرق الى المغرب ويبدأ بالهند فالصين فالترك ثم ينتقل الى الشام والتبت والسند، وملوك السودان ثم البربر وبلاد واحات افريقيا ثم أوروبا فيتحدث البكري عن الصقالبة والافرنج والجلالقة والنورمان ويختم بفصل عن الأكراد.

ويبدأ القسم الخاص بهؤلاء بتاريخ ممالك العرب القدامى في اليمن والحيرة. يلي ذلك وصف الجزيرة العربية بصفة إجمالية ثم جهة جهة بداية باليمن، وفي هذا القسم يخصص المؤلف فصلا طويلا لمكة، المدينة المقدسة، تاريخها وأماكنها المقدسة والجبال التي تحيط بها، ونجد تحاليل متشابهة بالنسبة الى يثرب أو المدينة وينتهي هذا القسم: بالطريق من مدينة النبي إلى مصر.

وفي العراق أيضا يصف البلاد وأهم مدنه، ونجد في آخر الجزء الأول بعض المقالات عن بعض الشعوب التركية.

ويصف في القسم الثاني حائط ياجوج وماجوج ورحلة سلام الترجمان ثم يرجع المؤلف الى الشرق الأوسط ويقدم لنا معلومات عن العواصم وعن الشام نفسه بمدنه الرئيسية...[16] وتتواصل بعد هذا الانقطاع الرحلة نحو المغرب بفصل طويل عن مصر ينتقل فيه المؤلف من وصف البلاد عامة مع ذكر بعض الخصائص، الى استعراض تاريخها حتى الفتح الاسلامي. ويعير القسم المخصص للتاريخ القديم قيمة كبرى للعجائب يلي وصف مصر قائمة كور البلاد.

ويقودنا طريق الاسكندرية - افريقية إلى شمال افريقيا، وتتوالى المعلومات عن المسالك ووصف المدن بشيء من التطويل أو التقصير ونجد تحليلات تاريخية طويلة عن الأدارسة وبرغواطة والمرابطين، إنها نفس الطريقة المتبعة بالنسبة الى المشرق.

وعند وصولنا الى أقصى الجنوب المغربي سجلماصة - أغمات نتجه الى الجنوب ونخترق الصحراء ونزور بلاد السودان: غانة ومالي الخ.

ويهتم القسم الأخير من الكتاب بأوروبا الغربية ويبدأ بوصف عام للأندلس ثم تقسيماته فجباله فخصائصه ثم تستعرض بعض المدن بداية من قرطبة واشبيلية وتتبع ذلك مقالات عن جليقة وبلاد الافرنج البوتونيين ومن المؤسف انه لم تحفظ إلا أجزاء.

مسجد القيروان من خلال كتاب المغرب في ذكر إفريقية والمغرب

وقال خبيبا كنت أو ثقيلًا لا اتخلف عنها لأن الله تبارك وتعالى يقول انجروا خبابًا وثقالًا ثم قال قدمت سرية علي النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا البرد فقال قال رسول الله أن البرد الشديد والاجر العظيم لاهل ابريقية وروى ابن أبي العرب قال حدثني جرات حدثني عبد الله بن أبي حسان عن عبد الرحمن بن زياد ابن انعم عن ابن عبد الرحمن الجبلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقطع الجهاد عن البلاد كلها جلا يبقى الا بموضع في المغرب يقال له ابريقية فبينما القوم بازاء عدوهم نظروا الى الجبال قد سمرت فيخرون لله تبارك وتعالى سجداً فلا ينزع عنهم اخلافهم الا خدامهم في الجنة وكان عبد الرحمن بن زياد بن انعم يقول ينقطع الجهاد من كل بلد وسيعود الى ابريقية وليضربن الغيايل من الافان الى ابريقية لعدل امامهم ورخص اسعارهم وروى ابن أبي العرب عن عبد الله بن عمر العمري عن ابن لهيعة عن أبي فييل عن عبد الله ابن عمرو انه قال والله ليباعن الجمل بمصر بعشرة دنانير ثم ليباعن بمائة دينار ماغالة الناس بها وكان اسمع صريه الحامل على عفة الثانية من مصر الى ابريقية يطلبون بها للجهاد والعدل وليملكن ابريقية رجل يعدل فيهم اثنين وعشرين او اربعة وعشرين سنة

﴿ ذكر مسجد القيروان ﴾

قد تقدم أن أول من وضع محرابه وبناء عتبة بن نافع ثم هدمه حسان حشاشي المحراب وبناء وحمل اليه الساريتين الحمراءين الموشاتين بصبرة اللتين لم ير الراؤون مثلهما من كنيسة كانت لأول في الموضع المعروف اليوم بالفيسارية بسوق الضرب ويقولون أن صاحب الفسطاطينية بدل لهم فيها قبل نقلهما الى الجامع

زنتها ذهباً فابتدروا للجامع بهما ويذكر كل من رآهما انه لم يرى
البلاد ما يفتنون بهما فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك كتب
اليه عامله على الفيروان يعلمه ان الجامع يضيف باهله وان بجوفيه
جنة كبيرة لغوم من بهر فكتب اليه هشام يامر بشريها وان
يدخلها المسجد للجامع فيعمل وبنى في صحنه ماجلا وهو المعروف
بالمجل القديم بالغرب من البلاطات وبنى الصومعة في بئر الجنان
ونصب اساسها على الماء واتبع ان وفعت في نفس الحائط الجوى واهل
الورع يكرهون الصلاة في هذه الزيادة ويقولون انه اكره اهل الجنة
على بيعها والصومعة اليوم على بناء طولها ستون ذراعاً وعرضها
خمس وعشرون ولها بابان شرقي وغربي وعضايد بابيها رخام منقش
وكذلك عتبتهم فلما ولي ابريقية يزيد بن حاتم سنة خمس
 وخمسين ومائة هدم للجامع كله حاشى الحراب وبقاه واشترى
العمود الاخضر بمال عريض جزل ووضع فيه وهو الذى كان يصلى
عليه الفاضى ابو العباس عبدون فلما ولي زيادة الله بن ابراهيم
ابن الاغلب هدم للجامع كله واراد هدم الحراب فيقبل له ان من
تقدمك من الولاة توفعوا عن ذلك لما كان واضعه عتبة بن نافع
ومن كان معه بلج في هدمه لئلا يكون في الجامع اثر لغيره حتى
قال له بعض البناء انا ادخله بين حايطين ولا يظهر في الجامع اثر
لغيرك باستنصوب ذلك وفعله فهو على بناء الى اليوم والحراب كله
وما يليه مبنى بالرخام الابيض من اعلاه الى اسفله محرم منقوش
كله منه كتابة تفرا ومنه تدبير مختلف الصناعة يستدير به
اعمدة رخام في غاية الحسن والعمودان الاحمران المذكوران يفابلا
الحراب عليهما الفية المتصلة بالحراب وعدد ما في الجامع من
الاعمدة اربع مائة واربعة عشر همودا وبلاطاته سبعة عشر بلاطا

وطوله مائتان وعشرون ذراعا وعرضه مائة وخمسون ذراعا وكانت فيه مفصورة فلم يزل بناء زيادة الله فيه والمفصورة اليوم انما هي دار بقبلى الجامع بابها في رحبة الثمر لها باب عند المنبر يدخل منه الامام بعد ان ينزل في هذه الدار حتى تقرب الصلاة وبلغت النفقة في بنائه ستة وثمانين الف مثقال ولما ولي ابراهيم بن احمد ابن الاغلب زاد في طول بلاطات الجامع وبنى الفبة المعروفة بباب البهو على اخر بلاط الكراب وفي دورها اثنان وثلاثون سارية من بديع الرخام وفيها نفوش غريبة وصناعات محكمة عجيبة يشهد كل من رآها انه لم ير مبنى احسن منه وقد بُرّش من العنق بين ايدى البلاطات نحو خمس عشرة ذراعا وللجامع عشرة ابواب ومفصورة للنساء في شرفيها بينها وبين الجامع حائط اخر مخترم بحكم العمل ٥ ومدينة العسوان في بساط من الارض مديد من الجوب منها بحر تونس وفي الشرن بحر سوسة والمهدية وفي الفيلة بحر اسعافس وفابس واقربها منها البحر الشرقي بينها وبينه مسيرة يوم وبينها وبين الجبل مسيرة يوم وبينها وبين سواد الزيتون المعروب بالساحل مسيرة يوم وشرفيها سبخة ملح عظيم طيب نظيف وسائر جوانبها ارضون طيبة كريمة واحسنها الجانب الغربي وهو المعروب بمحص الدرة يصاب فيه في السنة للخبث مائة وهواء هذا الجانب طيب صحيح وكان زياد بن خلعة المنتطب اذا خرج من الفيروان يريد مدينة رقادة وحاذى باب اصرم رفع العمامة عن راسه يباشر الهواء براسه كالمتداوى به لبعته والفيروان من القديم سبع محارس اربعة خارجها وثلاثة داخلها وكان للفيروان في القديم سور طوب سبعة عشرة اذرع بنى محمد بن الاشعث ابن العفبة الخراعى سنة اربع واربعين ومائة وهو اول فايد دخل